بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مركز بحوث القرآن والسنة

الندوة العلمية

مقام النبوة بين تعظيم المحبين وإساءة المبغضين

دور علماء الأمة وفقه المواجهة

كتبها: عبد الحي يوسف

جامعة الخرطوم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

أولاً: مكانة العلماء في الأمة

إن الله ﷻ وتقدست أسماءه، اختص من خلقه من أحب فهداهم للإيمان، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب؛ فتفضل عليهم فعلَّمهم الكتاب والحكمة وعلمهم التأويل، وفقههم في الدين، وفضلهم على سائر المؤمنين وذلك في كل زمان وأوان، رفعهم بالعلم وزيَّنهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح، ففضلهم عظيم، وخطرهم كبير، فهم ورثة الأنبياء وخيرة عين الأولياء، **{إنه ليستغفر للعالم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر}**[1] والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع.

هم أفضل العباد، وأعلى درجة من الزهاد، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، **{إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا}**[2] فبقولهم يعمل الحاكم والمحكوم، وعن رأيهم يصدرون، وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون، فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، وبهم تحيا قلوب أهل الحق وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر إذا طمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.

إن للعلماء في الأمة مكانة عظيمة ولهم فيها مآثر جسيمة، ولهم عند الله تعالى منزلة لا يبلغها غيرهم، فالعلماء أشد الناس وأكثرهم لله خشية **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)**[3] **(أولئك هم خير البرية)**[4] ومنزلتهم أرفع منزلة وأزكاها **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)**[5] وهم المرجع عند السؤال **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)**[6] والعلماء

---

[1] رواه ابن ماجه من حديث أبي الدرداء τ

[2] رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص □

[3] سورة فاطر/28

[4] سورة البينة/7

[5] سورة المجادلة/11

[6] سورة النحل/43

لا يساويهم أحد في منزلتهم ورتبتهم **(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)**[1] وهم الذين يعقلون من مراد الله ما لا يعقله غيرهم **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)**[2] وهم ورثة الأنبياء **{إن الأنبياء لم يورثوا دينار ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر}**[3] والعلماء فضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، ولا يشقى بهم جليس **{هم القوم لا يشقى بهم جليسهم}**[4] مجالسهم تحفظها الملائكة وتغشاها الرحمة وتنزل عليها السكينة ويذكرهم الله فيمن عنده، فيزدادون بذلك عزا إلى عزهم وشرفا إلى شرفهم ورفعة إلى رفعتهم. ونحن مأمورون بأن نعرف لهم قدرهم، ونحفظ لهم مكانتهم؛ قال ε **{ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه}**[5]

رأيت العلم صاحبه شريف وإن ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن يعظم قدره القوم الكرام
ويتبعونه في كل أمر كراع الضأن تتبعه السوام
يحمل قوله في كل أفق ومن يك عالماً فهو الإمام
فلولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال من الحرام
فبالعلم النجاة من المخازي وبالجهل المذلة والرغام
هو الهادي الدليل إلى المعالي ومصباح يضيء به الظلام

قال أبو مسلم الخولاني رحمه الله "العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا"[6] وقال أبو الأسود الدولي رحمه الله "الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك"[7]

إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر تحكم العلماء

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله "أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء"

---

[1] سورة الزمر/9
[2] سورة العنكبوت/43
[3] رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء τ
[4] رواه الشيخان من حديث أبي هريرة τ
[5] رواه الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت τ
[6] رواه عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق
[7] رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 44/1

وإن من علامات أهل الزيغ والضلال الوقيعة في أهل العلم، فهذا يتهمهم بالمداهنة، وذاك يتهمهم بالسعي وراء الدنيا، والثالث يتهمهم بحب الشهرة، والرابع والخامس والسادس، وتجد من كان على شاكلتهم من أهل النفاق يفرحون بهذا الكلام، ولا يذبون عن أعراض هؤلاء الأعلام، وقد قال ε **{ما من مؤمن يخذل مؤمناً في موطن ينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يحب منه نصرته}**[1] فكيف إذا كان هذا المؤمن هو أهل الله وخاصته فالإثم هنا يكون أعظم، والخطيئة تكون أطم.

ولا خير في قوم يذل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[2].

ثانياً: دور علماء الأمة وفقه المواجهة

الأمة على أبواب صراع عنيف ومعركة شرسة، قد تهلك الأخضر واليابس، وتغير معالم التاريخ، صراع بين حضارة إسلامية تريد للناس أن يعيشوا أحراراً كما ولدتهم أمهاتهم، وحضارة صهيونية صليبية تريد استعباد الناس، ونهب ثرواتهم، وتغيير مفاهيمهم، وفرض ثقافة شائهة تائهة عليهم، وتستعمل في سبيل هذه الغايات الخسيسة كل وسيلة لتركيع الناس وإخضاعهم؛ فتارة حرب نفسية، وتارة حصار اقتصادي، وأخيراً حرب عسكرية تستعمل فيها سائر الأسلحة الفتاكة والمدمرة دون اعتبار لشرعية دولية أو مبادئ أخلاقية، ولتحقيق ذلك تستباح الأعراض، وتهدد الحصون، وتغتال الرموز إما حسياً أو معنوياً.

وقد فجعت الأمة الإسلامية في الآونة حين رأت هذه الحرب الصليبية الشرسة قد تعدت كل الخطوط الحمراء؛ وتناولت مقام النبي الأكرم ε بالإساءة البالغة والتجريح المهين تحت شعارات جوفاء أثبتت الأيام كذبها ومَيْنها، وأنها هراء ودجل؛ كشعارات حرية التعبير وحرية الصحافة وحرية الرأي، وقد ظنوا أن الأمة ستهضم تلك الإهانة كما هضمت غيرها، لكنهم فوجئوا بالمسلمين في المشارق والمغارب وقد هبوا على قلب رجل واحد يعبرون عن غضبهم واستيائهم واحتجاجهم، بل إن بعض الحكومات أبدت امتعاضها بسحب سفرائها أو إلغاء زيارات لبعض ممثلي تلك الدول التي تولت كبر هذا العمل المقيت، وقد استغرب الكفار الفجار ردة الفعل هذه من الأمة المسلمة ـ ظناً منهم أنها قد ماتت ـ واستبشر أهل الغيرة خيراً بهذا الغضب العارم لعرض مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم

---

[1] رواه أبو داود من حديث جابر بن عبد الله وأبي طلحة ψ

[2] شرح العقيدة الطحاوية/ 197

لكن لا بد من وقفة نقول فيها: إن هذه الاحتجاجات ما كانت مرشَّدة ولا موجَّهة، وقد تولاها في بلاد كثيرة أناس ربما تكون صلتهم بالدين واهية، وغاب ـ في الأعم الأغلب ـ التوجيه الشرعي الرشيد الذي يجلب المصالح ويكثرها، ويدرأ المفاسد ويقللها؛ حتى رأينا أن بلاداً قد اجتاحتها مظاهرات عنيفة ترتب عليها تخريب وتدمير للممتلكات، وعمد بعض المجرمين وأصحاب الأغراض إلى ركوب الموجة لحاجة في أنفسهم، وقد كان دور أهل العلم ضعيفاً ـ إلا ما ندر ـ والسؤال الذي نخلص إليه في هذه الورقة: ما هو دور علماء الأمة في مواجهة هذه الهجمة الشرسة على مقدسات الأمة ورموزها؟ إن دورهم عظيم، وواجبهم كبير، وعليهم التصدي له بكل ما أوتوا، ومن ذلك:

أولاً: بيان مكانة النبي ﷺ في دين الإسلام، قال الله تعالى **(إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ∃ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا)**[1] فذكر تعالى حقاً مشتركاً بينه وبين رسوله ﷺ وهو الإيمان، وحقاً خاصاً به تعالى وهو التسبيح، وحقاً خاصاً بنبيه ﷺ وهو التعزير والتوقير، وحاصل ما قيل في معناهما أن التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار، لا بد أن يعلم الكافة أن مُحَمَّداً ﷺ هو أكرم البشر على الله وأعظمهم جاهاً ومقاماً عنده، وقد زكى الله عقله فقال **(ما ضل صاحبكم وما غوى)**[2] وزكى لسانه فقال **(وما ينطق عن الهوى)**[3] وزكى كلامه فقال **(إن هو إلا وحي يوحى)**[4] وزكى جليسه فقال **(علمه شديد القوى)**[5] وزكى فؤاده فقال **(ما كذب الفؤاد ما رأى)**[6] وزكى بصره فقال **(ما زاغ البصر وما طغى)**[7] وزكى خلقه فقال **(وإنك لعلى خلق عظيم)**[8] وزكى نسبه فقال **(الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)**[9] وزكاه كله فقال **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)**[10] وغضب الله على من نبيه مُحَمَّداً ﷺ أو انتقصه أو ألحق به عيباً أعظم من غضبه على من انتقص غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

---

[1] سورة الفتح/ 9.8
[2] سورة النجم/ 2
[3] سورة النجم/ 3
[4] سورة النجم/ 4
[5] سورة النجم/ 5
[6] سورة النجم/ 11
[7] سورة النجم/ 17
[8] سورة القلم/ 8
[9] سورة الشعراء/ 219
[10] سورة الأنبياء/ 107

ثانياً: بيان الخصائص التي حبا الله بها نبينا ε والإكثار من الحديث عنها في المجامع والمنتديات؛ **(ويزداد الذين آمنوا إيمانا)**[1] ولا نمل من التكرار لينشأ على ذلك الصغير ويشيب الكبير، لقد حبا الله تبارك وتعالى نبينا مُحَمَّداً ﷺ من الخصائص القوية والصفات العلية والأخلاق الرضية ما كان داعياً لكل مسلم أن يجله ويعظمه بقلبه ولسانه وجوارحه. وقد كان لعلماء أهل السنة قدم صدق في العناية بجمع خصائصه، وإبراز فضائله والإشادة بمحاسنه، فلم يخلُ كتاب من كتب السنة كالصحاح والسنن وغيرها من كتب مخصصة لم يخل من ذكر مآثره، كما أُفردت كتب مستقلة للحديث عنه وعن سيرته، لا بد للعلماء أن تجري على ألسنتهم الأحاديث المنوهة بشأن رسول الله ﷺ كقوله **{أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد، تحته آدم فمن دونه}**[2] حتى يعلم الكافة أن الله تعالى قد أغاث الله به البشرية المتخبطة في ظلمات الشرك والجهل والخرافة، فكشف به الظلمة، وأذهب الغمة، وأصلح الأمة، وصار هو الإمام المطلق في الهدى لأول بني آدم وآخرهم، فهدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وكثَّر به بعد القلة، وأعزَّ به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، وأن البشرية اليوم أحوج ما تكون إلى هديه ونظامه وأخلاقه عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: بيان مكارم الأخلاق ومحاسن العادات التي جبل عليها ﷺ حتى يستقر في أذهان المسلمين صغيرهم وكبيره، أن مُحَمَّداً ﷺ كان أحسن الناس خُلُقاً، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً، كما أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة **{مُحَمَّد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً}**[3] وكان عليه الصلاة والسلام أرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبداً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعاً، وأعظمهم إيثاراً على نفسه، وأشد الخلق ذبّاً عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه.

رابعاً: بيان واجب حكام المسلمين في حماية الجناب النبوي؛ لأن من المؤسف أن نقول: إن بعض من ينتسب إلى الإسلام ـ في بلاد المسلمين ـ قد يظهر منه شيء من التطاول وسوء الأدب مع سيد الخلق

---

[1] سورة المدثر/ 31

[2] رواه الشيخان من حديث أبي هريرة τ

[3] رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص □

ﷺ، ثم لا يجد من يردعه ويأخذ على يده، إن الواجب تذكير الحكام بأن المسلمين الذين طُعنوا في دينهم وثُلموا في شرف نبيهم ﷺ يتطلعون إلى إنفاذ حكم الله فيمن أتى هذا الجرم الفظيع حتى تهدأ ثائرتهم وتطمئن قلوبهم، وحتى يعلم كل منافق ودجال أن أمر الله نافذ وأن الجناب النبوي حرم مقدس، لا يقبل المسلمون به مساساً وإن أول واجبات الدولة المسلمة حراسة الدين وحفظه؛ فمن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وما شرع الله الجهاد إلا من أجل الدين، قال تعالى **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)**[1] وقال النبي ﷺ **{من بدَّلَ دينه فاقتلوه}**[2] رواه البخاري، ومن حفظ الدين أن يمنع وليُّ الأمر من أراد الطعن في الدين ومن يثير الشبهات حوله ليفتن ضعاف الإيمان وجهلة المسلمين. يقول ابن تيمية رحمه الله: فأما الغش والتدليس في الديانات، فمثل البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الأقوال والأفعال، مثل إظهار المكاء والتصدية[3] في مساجد المسلمين، ومثل سب جمهور الصحابة وجمهور المسلمين أو سب أئمة المسلمين ومشايخهم وولاة أمورهم المشهورين عند عموم الأمة بالخير، ومثل التكذيب بأحاديث النبي ﷺ التي تلقاها أهل العلم بالقبول، ومثل رواية الأحاديث الموضوعة المفتراة على رسول الله ﷺ، ومثل الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإله، ومثل تجويز الخروج عن شريعة النبي ﷺ، ومثل الإلحاد في أسماء الله وآياته، وتحريف الكلم عن مواضعه، والتكذيب بقدر الله، ومعارضة أمره ونهيه بقضائه وقدره، ومثل إظهار الخزعبلات السحرية والشعوذة الطبيعية وغيرها التي يضاهي بها ما للأنبياء والأولياء من المعجزات والكرامات، ليصد بها عن سبيل الله، أو يظن بها الخير فيمن ليس من أهله، وهذا الباب واسع يطول وصفه، فمن ظهر منه شيء من هذه المنكرات وجب منعه من ذلك وعقوبته عليها إذا لم يتب حتى قدر عليه، بحسب ما جاءت به الشريعة من قتل أو جلد أو غير ذلك" أ.هـ[4]

ومن هذا الباب ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ من عقوبته صبيغاً التميمي حين أكثر من السؤال عن مشكل القرآن. حين بلغ عمر أن رجلاً يسأل عن مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه. فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة، وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذروا؟ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب، وابلغوا به حيه، ثم ليقم خطيباً فليقل: إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه. قال ابن كثير: رواه البزار والحافظ ابن عساكر، وزاد: أن عمر ضربه مائة وجعله في بيت، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى، وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى

---

[1] سورة البقرة/ 193

[2] رواه البخاري من حديث ابن عباس ﷺ

[3] المكاء: الصفير، يقال: مكا يمكو مكواً ومكاء، وقد قيل: إن المكو أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه، ثم يصيح، والتصدية: التصفيق. جامع البيان للطبري 241/9

[4] السياسة الشرعية لابن تيمية/50

فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب عمر: ما إخاله إلا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس[1].

وإنه لمن المعيب حقاً أن يظن الحاكم أنه محايد في قضية كهذه، وأن الأمر لا يعنيه في قبيل أو دبير، بل الواجب عليه أن يعد ذلك همه المقعد المقيم؛ لأنه لا يبقى للأمة مهابة ولا فضيلة إذا رضيت بسب نبيها ﷺ

خامساً: التركيز على أن الطعن في رسول الله ﷺ طعن في الرسالة، وذمه ذم للدين، وأن أهل العلم ـ رحمهم الله ـ مجمعون على ذلك. قال أبو بكر بن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سبَّ النبي ﷺ يقتل، وممن قال بذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي. قال القاضي عياض رحمه الله: وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق ﷺ ولا تقبل توبته عند هؤلاء، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلمين، لكنهم قالوا: هي ردة. إلى أن قال: ولا نعلم خلافاً في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة، وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره.[2]

سادساً: التذكير بالشواهد التاريخية الموجبة لقتل ساب النبي ﷺ ومتنقصه ومؤذيه، وهي مما لا يحيط به الحصر، ومن ذلك:

- عن الشعبي عن أمير المؤمنين علي ﷺ **{أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ ذمتها}**[3]
- وعن ابن عباس ﷺ **أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المعول فجعله في بطنها، واتكأ عليه فقتلها، فلما أصبح ذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال: أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المعول فوضعته في بطنها، واتكأت عليه حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: {ألا اشهدوا أن دمها هدر}**[4]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 29/17، وتفسير القرآن العظيم 204/4

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى 534/2

[3] رواه أبو داود

[4] رواه أبو داود والنسائي

- روى الشيخان من حديث مالك عن الزهري عن أنس ﷺ: **أن عبد الله بن خطل بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه قتل هو متعلق بأستار الكعبة، اشترك في قتله أبو برزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي**[1].
- أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة، فرفعت عليه أمور منكرة في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم فأحضر له القاضي يحي بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه، فطعن بالسكين وصلب منكَّساً ثم أنزل وأحرق بالنار، وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبَّر الناس، وجاء كلب فولغ في دمه.[2]

سابعاً: مواجهة من يرمي العلماء المعاصرين بالتشديد في هذا الأمر والتعسير فيه بفتاوى من سلف من علماء الأمة وفقهائها؛ لأننا في زمان لا يتورع فيه الزنادقة أن ينعوا على أهل العلم قولهم بوجوب قتل مؤذي النبي ﷺ ويستبشعوا قوله، ويحاول هؤلاء أن يصوِّروا للعامة أن هذه الفتاوى من نتاج جماعات الإسلام السياسي ودعاة التكفير ومن يحكمون على ضمائر الناس، لا بد أن يبين كذب هؤلاء المضللين بإشاعة فتاوى الأئمة السابقين، ومن ذلك مما تواتر نقله عنهم:

- روى ابن وهب عن مالك: من قال: إن رداء النبي ﷺ وسخ أراد به عيبه قُتِلَ
- أفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال: الجمال يتيم أبي طالب بالقتل
- أفتى أبو مُحَمَّد بن أبي زيد بقتل رجلٍ سمع قوماً يتذاكرون صفة النبي ﷺ إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية، فقال لهم: تريدون تعرفون صفته؟ هي في صفة هذا المار في خَلْقَه ولحيته. قال: ولا تُقبل له توبة وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان.[3]
- يقول القاضي عياض المالكي رحمه الله تعالى: من سبَّ النبي عليه الصلاة والسلام أو عابه أو ألحق به نقصاً في نسبه أو نفسه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبَّهه بشيء على طريق السب والازدراء عليه أو النقص لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب تلويحاً كان أو تصريحاً, وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق

---

[1] رواه الشيخان، وانظر البداية والنهاية لابن كثير 296/4

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ε 2/ 218

[3] هذا كله منقول من كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله 218/2

بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام أو بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو عصمته بشيء من العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه – قتل. قال: هذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا.[1]

وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله في كتابه المغني: قذف النبي ﷺ، وقذف أمه، ردة عن الإسلام، وخروج عن الملة، وكذلك سبُّه بغير القذف[2].

ثامناً: بيان سنة الله الماضية في موالاة المنافقين بعضهم بعضاً كما قال سبحانه **(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)**[3] فيبين العلماء للعامة أن كل من يتضامن مع مؤذي رسول الله ـ كما حاول بعضهم في النازلة الأخيرة أن يبذل الأعذار للصحيفة الدانماركية الرقيعة وللساسة الأوروبيين الدجاجلة، ومن تورط في الاعتذار لهؤلاء فلا يلومن إلا نفسه إذا ظن به المسلمون ظن السوء بما كسبت يداه، في تفسير قوله تعالى **(اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم)**[4] قال القرطبي رحمه الله تعالى: والذي يميِّز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب؛ وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم؛ بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث[5].

تاسعاً: نشر الفقه المتعلق بهذه المسألة بين الناس؛ أعني فقه التوبة؛ لأن كثيرين يعتقدون أن ساب النبي ε لو تاب فما لنا عليه سبيل، إننا نقول: إن سب النبي ﷺ والإساءة إليه وانتقاصه وعيبه ردة مغلظة، وكفر مبين ـ سواء صدر من مسلم أو كافر أصلي أو مرتد ـ وهي عند أكثر العلماء لا يؤثر في وجوب الحد فيها توبة؛ لأن الحق قد تعلق بمخلوق وهو النبي ﷺ وهو غير موجود الآن بين ظهرانينا ـ فداه أبي وأمي ـ وإلحاق العيب به عيب للأمة كلها، فمن تاب وكان صادقاً في توبته نفعته توبته عند الله ديانةً، أما حد الدنيا ـ قضاء ـ فلا يسقط.

عاشراً: نشر فقه الولاء والبراء، وأن نردد على الناس قول ربنا ﷻ **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)**[6] وقول نبينا ε **{لا يؤمن أحدكم**

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ε 214/2

[2] المغني لابن قدامة 88/9

[3] سورة التوبة/ 67

[4] سورة الحجرات/ 12

[5] الجامع لأحكام القرآن 332/16

[6] سورة التوبة/ 24

حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين}[1] حتى يعلم كل مسلم أن واجباً عليه بغض من آذى رسول الله ε والبراءة إلى الله منه، واعتقاد أنه حرب على الدين وأهله؛ وأنه لا يجتمع في قلبه حب رسول الله ε مع موالاة من آذاه **(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)**[2]

هذا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين،،،،،

قاله وكتبه

عبد الحي يوسف

[1] رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك τ

[2] سورة المجادلة/ 22